

خطبة جمعة

لَا يَسْتَوِي الطَّيِّبُ وَالْخَبِيثُ

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية (٣)

الشيخُ لم يراجع التفريغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الخطبة الأولى]

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، أحمدده سبحانه خلق الجنة داراً طيبة وجعلها للطيبين، وخلق النار داراً خبيثة وجعلها للخبثين. فالحمد لله على حكمته وعلى عدله، والحمد لله على فضله وبره وإحسانه بأوليائه، فهو المحمود على كل حال، وهو المحمود الذي بنعمته تتم الصالحات.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفه، نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركنا بعده على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك، تركنا وقد أوضح لنا كل خير، وقد نهانا عن أصول الشر، فله عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ منا الدعاء، والصلاة عليه أول النهار وآخره.

اللَّهُمَّ فصلِّ عليه كفاء ما أرشد وعلم وجاهد، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم عليه ما تتابع الليل والنهار، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد كلما صلى عليه المصلون وكلموا غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

أما بعد؛

فيا أيها المؤمنون اتقوا الله حق التقوى.

واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، طيب يحب الطيبين، طيب خلق الجنة وجعلها داراً طيبة، وجعلها مأوى للطيبين، طيب -جل وعلا- يحب الطيب والطيب من الأقوال ويحب الطيب من الأفعال ويحب الطيب في الكسب ويحب الطيب في التصرفات، والخبث يكرهه -جل وعلا- من الأشخاص ومن الأحوال ومن الأقوال والأعمال والأموال، ويحب الله -جل وعلا- الطيب في ذلك كله، قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طِيباً»^(١) وقال جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلَ

كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾

(١) مسلم، حديث رقم (١٠١٤).

[المؤمنون]، وقال -جل وعلا- أيضا في سورة المائدة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)، في هذه الآيات يبين -جل وعلا- أن الخبيث لا يستوي والطيب، وأنه سبحانه يحب الطيب ويحب الطيبين، وأمر الرسل أن يعملوا صلاحا وأن يأكلوا من الطيبات.

فالخبيث ولو علا مناره، فالخبيث ولو ظهر فإنه لا يساوي الطيب ولا يُوزَن بالطيب ولو كان الطيب قليلا مستخفيا.

فإن الطيب يحبه من برأ السموات والأرض، وإن الخبيث يكرهه من برأ السموات والأرض، وقد قال لنا جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ الخبيث ولو كثر فإنه لا يساوي الطيب. فيكون الخُبث في أشياء:

- يكون الخبث في الأقوال.
- ويكون الخبث في الأعمال.
- ويكون الخبث أيضا في اعتقادات القلوب.
- ويكون الخبث أيضا في المكاسب.
- ويكون الخبث أيضا في التصرفات.

وفي مقابل ذلك:

- تكون العقائد طيبة.
- وتكون الأقوال طيبة.
- وتكون الأعمال طيبة.
- وتكون المكاسب طيبة.

فإنه لو أعجب المعجبون كثرة الاعتقاد بالخبيث وظهور بعض أهله، فإنه لا يساوي الاعتقاد بالطيب وطيب رفعة أهله؛ لأن الله -جل وعلا- معهم، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ولا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»^(١)، فالاعتقاد بالطيب في

(١) مسلم، حديث رقم: (١٩٢٠).

الله جل وعلا بأنه سبحانه هو الواحد الأحد في ربوبيته، وهو المستحق أن تتوجه القلوب إليه بالرغبة والرغبة، وأن تتوجه الألسنة إليه بالدعاء والاستغاثة، وبطلب ما عنده، وأن يكون اعتقاد المرء بالله أنه - جل وعلا - ذو أسماء الحسنی الكاملة وذو الصفات العلی، ويتعبد الله - جل وعلا - بأسمائه وصفاته، بالتذلل له بأسمائه وصفاته، ومعرفة جل وعلا.

فإن من كانت هذه حاله طابت عقيدته وطاب قلبه، ولا يصدر عن الطيب إلا طيباً؛ لأن تصرفاته إذن ستكون لله، ولأن قوله سيكون لله، ولأن محبته ستكون محبة العبادة لله - جل وعلا -؛ لأنه سبحانه «طيب لا يقبل إلا طيباً».

وكذلك أيها المؤمنون، الخبيث من الاعتقادات فإنه خبيث ومأوى أهله إن لم يتوبوا الدار الخبيثة، إما أبداً وإما حيناً، بحسب حالهم من الكفر والبدعة، فإن الله جل وعلا جعل من اعتقد فيه غير الحق خبيثاً خبث قلبه، ولو كثرت جموعهم فإنهم خبيثاء؛ لأنهم ليسوا على الحق، ومن اعتقد في أسماء الله وفي صفاته أنها كأسماء وصفات المخلوق فقد خبث اعتقاده، ومن عطل الرحمن - جل وعلا - عن أن يكون له الأسماء الحسنی على ما دل عليه ظاهرها فقد خبث اعتقاده، وكذلك من عطله على الاتصاف بصفاته وتأول ما ورد في ذلك وأخرجه عن ظاهره، فقد خبث اعتقاده فيكون مبتدعاً بذلك لأنه خالف ما أمر به النبي ﷺ وما وصف به ربه؛ بل ترك ما وصف به الجبار - جل وعلا - نفسه العلية.

كذلك من توجه لغير الله بالعبادة بأن توجه إلى ولي صالح أو توجه إلى نبي فسأله أشياء ودعاه، والنبي ﷺ يقول: «إذا سألت فاسأل الله»^(١) والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١٨) [الجن]، فدعا غير الله فنعلم أنه خبيث خبث اعتقاده حيث جعل لله شريكاً في الدعاء والمسألة، والله سبحانه واحد، والذي يجيب الدعاء هو الواحد الأحد.

فمن توجه لغير الله في أي نوع من أنواع العبادة والدعاء والسؤال فإنه مشرك خبث اعتقاده، فخبث حينئذ قوله وخبث حينئذ عمله، وكذلك من لم يتوكل على الله سبحانه؛ بل جعل الأسباب هي التي تحكم العباد، وأنه إذا عمل عملاً فإنه بجده ونشاطه سيحصل له كسبه وسيحصل له نجاحه، وسواء كان ذلك في الأفراد أو في المجتمعات فإن هذا اعتقاد خبيث؛ لأن الله - جل وعلا - هو ولي النعمة وهو الذي

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٥١٦). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الشيخ الألباني: صحيح.

على كل شيء قدير ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْنَدًا﴾ [الكهف: ٤٥]، والله ﷻ يحب المتوكلين عليه، وعلمنا -جل وعلا- أن الأسباب لا تنفع إلا بإذنه.

فحينئذ صاحب الاعتقاد الخبيث يتكل على الأسباب، وصاحب الاعتقاد الطيب الذي طاب اعتقاده بالله يعمل السبب ثم يفوض أمر الانتفاع بالأسباب إلى الواحد الأحد الذي بيده ملكوت كل شيء. أيها المؤمنون كذلك في الأقوال تنقسم إلى خبيث وطيب، فالذي خبث أقواله ولو كثرت فإنه مكروه لله -جل وعلا- مبغض، وكذلك يكرهه عباد الله المؤمنون الذي إذا نطق نطق بغير الحق، وإذا تكلم كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا تكلم تكلم بالنميمة أو تكلم بالغيبة، لسانه ينطق بأنواع من الخبث لا يرعوي ولا يذكر مقامه بين يدي الله -جل وعلا-؛ بل يتساهل في الأقوال ولا يهتم أن يكون لسانه خبيثاً؛ فهذا من الخبثاء الذين إن لم يغفر الله لهم أو لم يتوبوا فإنهم معرضون لعذاب الله -جل وعلا- ولتطهيرهم في الدار الخبيثة حتى يكونوا طيبين، وهذا أمر صعب شديد.

هل يستوي هذا الذي خبث لسانه مع ذاك الذي طاب لسانه، فإذا تكلم تكلم بذكر الله، أو إذا نطق نطق بالعلم والحق، إذا تكلم صدق، وإذا وعد وفى، وإذا تكلم فإنه يحمي نفسه ويحمي عرض المؤمنين من أن ينالوا بسوء هذه الذي طالب قوله وهذا الذي يحبه الله جل وعلا ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمعاذ: «تَكَلَّمَ أَمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُوبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى وُجُوهِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(١) فلا يستوي من طاب لسانه وقوله ومن خبث لسانه وقوله، تراه واقعا بلسانه في أنواع من المحرمات، فصار خبيثا يتعرض للمحرمات بلسانه، وربما صار من جرّاء كلامه أنواع من الفساد وأنواع من صد الناس عن الحق وأنواع من إبعاد الناس عن طريق الله -جل وعلا- بأنواع الكلام وأنواع ما يقال في أي مجال من المجالات.

﴿لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ إذا تكلم أهل الحق بكلام طيب فإنه ولو كان ميدانه في الأرض قليلا فإنه الطيب الذي يحبه الله جل وعلا ولا يستوي وكثرة الخبيث ولو أعجبك كثرة الخبيث؛ لأن الخبيث خبيث وإن العاقبة للطيبين.

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٢٦١٦). سنن ابن ماجه، حديث رقم (٣٩٧٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

كذلك -أيها المؤمنون- في الأعمال لا تستوي الأعمال الطيبة والأعمال الخبيثة، فإن الأعمال الطيبة الصادرة من أهل الإيمان أفرادا كانوا أو مجتمعات إنها طيبة يحبها الله -جل وعلا-، فترى أهل الإيمان يسعون في الطيبات بأعمالهم، جوارحهم في طاعة الله؛ في صلاة، أو في سعي في مرضي الله، أو يتحركون في صلة أرحام، أو في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو في كسب معاش يؤجرون عليه.. أو في نحو ذلك من الأعمال الطيبة، فإنهم يعلمون بالطيب ويتقربون الله جل وعلا: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. والعمل الطيب هو العمل الصالح في أي ميدان من ميادين الحياة في التكافل الاجتماعي وفي السعي بحاجة المسكين والأرملة والضعفاء والمساكين وفي الأعمال الخيرة العامة لأمة، هذه كلها أعمال طيبة يحبها الله جل وعلا.

وفي مقابل ذلك الأعمال الخبيثة التي لا تصدر إلا عن قلب خبيث كالذين يسعون في إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا بأنواع من السعي، والذين إذا تكلموا تكلموا في تفريق المؤمنين والذين إذا عملوا عملوا في تفريق المؤمنين ولم يتقوا الله في إصلاح ذات البين وفي جمع الكلمة، والذين يسعون بأعمالهم في أنواع المحرمات، فإن هؤلاء وإن كثرت أعمالهم وظنوا الناس حسنة، فإنها خبيثة ولا يستوي الخبيث والطيب ولو كثرت الخبيث، كما قال لنا جل وعلا: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِ الْآلَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة].

كذلك -أيها المؤمنون- في أنواع الكاسب لا يستوي الكسب الطيب والكسب الخبيث، فدرهم من حلال خير وأكثر بركة وأعظم عائدة وأنجى بين يدي الله من مئات الألف أو من ملايين من كسب خبيث محرّم من ربا أو من رشوة أو من غش أو من خيانة أو من أنواع المكاسب المحرمة، فالذي نبت جسمه من حرام فالنار أولى به، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما جاء في الحديث الذي ذكرناه آنفا ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب. ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنما يستجيب لذلك^(١). وقد جاء في بعض الآثار الإلهية أن موسى عليه السلام قال لربه جل وعلا: يا رب دعاك بنو إسرائيل فلم تستجب لهم. فقال الله جل وعلا لموسى: يا موسى لقد مدوا إلي أيدياً فتكوا بها الدم الحرام، وأكلوا بها الحرام، وعملوا بها الحرام فأنما أستجيب لهم.

(١) مسلم، حديث رقم (١٠١٥).

وهذا يبين لك أن الله - جل وعلا - لا يستجيب إلا للطيبين، وأن تخلص العبد من الخبث في أقواله وأعماله ومكاسبه أنه فرض وأنه على العباد أن يسعوا في أن تكون أجسامهم وأجسام أولادهم وأهليهم طيبة حتى إذا دعوا أجيب لهم وحتى إذا سألوا الله - جل وعلا - أعطاهم.

أسأل الله الكريم من فضله وكرمه، وأسأله سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يجعلنا من عباده الذين إذا قالوا طابت أقوالهم، وإذا عملوا طابت أعمالهم، وإذا كسبوا طابت مكاسبهم. اللهم نسألك أن تجعلنا من الذين رضيت عنهم فجعلتهم طيبين وآويتهم إلى الدار الطيبة، يا أكرم الأكرمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝﴾ [المؤمنون].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه حقاً وتوبوا إليه صدقاً إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله هو الداعي إلى رضوان الله، صلى الله وسلم وبارك وعلى نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم التقوى في سرركم وعلايتكم فعظموا الله واتقوه فإنه سبحانه عليم بأحوالكم ناظر إليكم ثم يجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

اللهم أسألك أن تجعلنا ممن راقبك واتقاك حق تقاتك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله إن الله - جل وعلا - أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته ليدلكم على عظم أمره فقال جل

وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]،
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنُورِ وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ، وَارْضَ
اللَّهُمَّ عَنِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَئِمَّةِ الْحَنَفَاءِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحْبِ
وَالْأَلِّ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشَّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَاحْمِ حُوزَةَ الدِّينِ، وَانصِرْ عِبَادَكَ
الْمُوحِدِينَ، اللَّهُمَّ انصِرْ عِبَادَكَ الَّذِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ انصِرْ عِبَادَكَ الَّذِينَ يِقَاتِلُونَ لَتَكُونَ كَلِمَةُ
اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ قَوِّهِمْ، اللَّهُمَّ قَوِّهِمْ وَأَمْدُدْهُمْ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِكَ وَكُنْ لَهُمْ وَكُنْ عَلَى
أَعْدَائِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ آمِنَا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلَحْ أَمْتَنَا وَوَلَاةَ أُمُورِنَا، وَدَلِّهِمْ اللَّهُمَّ عَلَى الرَّشَادِ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ سَبْلِ
أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنَ الْمُتَعَاوِنِينَ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَا أَكْرَمَ
الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْفَعَ عَنْ هَذِهِ الدِّيَارِ وَعَنْ جَمِيعِ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ، الرِّبَا وَالزَّنَا وَأَسْبَابَهُمَا، وَأَنْ تَدْفَعَ عَنَّا
الزَّلَازِلَ وَالْمَحَنَ، يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

يَا مَنْ يَجِيرُ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ نَسْأَلُكَ أَنْ تَجِيرَنَا مِنَ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَمِنَ الْعَذَابِ وَالْخِزْيِ فِي الْآخِرَةِ
فَأَجِبْ اللَّهُمَّ، وَاغْفِرْ جَمًّا.

عباد الرحمن ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل] فاذكروا الله بألسنتكم وبأعمالكم يذكركم،
واشكروه على النعم يزدكم، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

